

التكنولوجيا و تطورات العصر، هل صحيح أن التطور حرر الإنسان أم جعل منه عبداً؟
كيف أصبحت خطواتكم محصية، و أين تختبئون من عيون أصحاب القرار إذا أرادوا التطفل عليكم؟
و ماذا تخبئ التكنولوجيا للبشرية بعد سنوات؟

قبل سنتين عاماً، نشر المؤلف البريطاني "جورج أوريول" كتاباً بعنوان "1984" ليطلق فيه نبؤاته الشهيرة و هي أن الإنسان سيصبح عبداً للتكنولوجيا. و مع التطور الكبير الذي يعيشه عالم اليوم، لابد من التوقف عند هذه المقولة، للتقويم و استشفاف العبر. هذا الموضوع هو محور اللقاء التالي مع المفكر "جونار نادر".

المقدم: ألا ترى أننا فعلاً أصبحنا عبيداً للتكنولوجيا كما تنبئ "جورج أوريول" ؟

جونار نادر: لا تزال أفكار "جورج أوريول" تدرس في المدارس، و تمت ترجمة كتبه إلى عدة لغات حول العالم، و كان الأطباء في الماضي يقولون بأنه مجنون بسبب الأشياء التي كان يقولها، و لم يكن مشهوراً في وقته، بل كان أضحوكة. و أنا أحب أن أعرف المزيد عن الأشخاص الذين لا يلقون التقدير و التصديق في حياتهم.

إن الابتكار الحقيقي هو الذي لا يصدق في بداية الأمر. إذا أخبرتك عن شيء في المستقبل ، و أنت إفتنعت به مباشرة، فإنني في الحقيقة لا أكون قد أخبرتك بشيء جديد أو مبتكر حقاً. لأن بعد النظر في العادة يلقى مقاومة من قبل عقل المتلقي، و هنا تبرز القدرة على توقع المستقبل.

"جورج أوريول" كتب كتاباً في عام 1948 اسمه "1984"، و منذ العام 1948 تحدث عن الوضع الذي سوف يكون عليه العالم في المستقبل، و وصف أوضاعنا اليوم، و قال أنه أينما ذهبنا فسيكون هناك كاميرات، و الآن فعلاً إذا ذهبت إلى مركز التسوق فهناك العديد من الكاميرات، الكاميرات في الشارع، في المكاتب. و عندما نسمع عن ما قاله الآن، فقد لا يبدو الأمر مهماً، و لكن إذا نظرت إلى الموضوع في الوقت الذي كتب فيه هذا الكلام، فترى أن الناس قالوا عنه بأنه مجنون.

المقدم: ذلك لأن حتى الصور العادية كانت أمراً صعباً آن ذاك، و لم يكن هناك كاميرات بالألوان، أو لم تكن منتشرة في ذلك الوقت.

جونار نادر: نعم بالتأكيد، و بالطبع لم يكن هناك التلفزيون الملون، و لم يكن هناك التقنية الإلكترونية الرقمية التي نعرفها اليوم. و لم يتكلم عن هذا الأمر فحسب، فهو لم يكن يتكلم عن أمور تكنولوجية، بل كان يتحدث عن أمور سياسية، و لذلك فقد واجه الكثير من المشاكل، بسبب أن أهل السياسة لم يعجبهم ما كان يتحدث عنه، لأنه كان يقول بأننا سوف نستطيع أن نتحكم في العالم، و هناك الكثير من الأفلام السينمائية الحديثة التي تتحدث عن أمور مثل سرقة الهويات، و أنك إن كنت مطارداً من قبل الحكومة فإن بإمكانهم أن يتحكموا ببطاقات الإئتمان و المفاتيح و يستطيعون تحديد مكان سيارتك عن طريق شريحة بطاقة العبور، و الناس اليوم لا تنتبه أنك عندما تقود سيارتك عبر بوابات العبور ذات الرسوم، فإن مكانك أصبح معروفاً، أو أنه يمكن تحديد موقعك من خلال الهاتف المتحرك، عن طريق إشارات الإرسال.

و ما قاله "جورج أوريول" هو أن الحكومة في المستقبل سوف تكون على علم بكل تحركاتك، و تصرفاتك و حتى طريقة تفكيرك، و إذا حدث أمر لا يعجبهم، فإن لديهم القدرة على الذهاب إلى الكمبيوتر المركزي و تغيير ما حدث، فيستطيعون بذلك مثلاً محي الأحداث التي لا يريدونها. و هذا الكلام الذي قاله كان قبل العالم التقني.

المقدم: نعم و قبل الكمبيوتر.

جونار نادر: صحيح، فكيف كان عقله كبيراً لدرجة أنه كان يفكر بهذه الطريقة. الآن لا يمكنك أن تمحي الصحف، فإذا تمت طباعة مليون نسخة من صحيفة معينة، فقد يكون بالإمكان تدمير مئة ألف نسخة، و بالإمكان منع الناس من بيعها، و لكن إذا كانت هناك نسخة في المنزل، فسيتم الاحتفاظ بها، و لن يكون بالإمكان تدميرها. الأخبار تكتب التاريخ، و التاريخ موجود، و لكن "جورج أورويل" قال بأن كل التاريخ و الأخبار سوف تصبح مركزية، و إذا هناك أمرٌ لا يعجبنا فيمكن تغييره.

من المثير للإهتمام أن في العام 1984 أنتجت شركة "أبل" منتج "أبل ماكنتوش" و الجميع الآن يعرف الآن ما هو "ماكنتوش" و عندما تم إنتاج "ماكنتوش" في ذلك العام قالت شركة "أبل" باننا على علم بما قاله "جورج أورويل" في كتابه "1984" باننا يوم ما سوف نكون جميعاً عبيداً للتكنولوجيا، و لكن "أبل ماكنتوش" سوف تعطينا الحرية. و بالطبع عند التحدث عن التكنولوجيا، فإن هناك أمران يجب الانتباه لهما، أولاً التكنولوجيا ذاتها، و ثانياً التطبيق. فإذا أردت أن تفكر في تكنولوجيا مثيرة للإعجاب، فهناك "المايكروتشيب" أو الشريحة المجهريّة و التي تجري فيها 6 ملايين عملية و هي بحجم نصف سم. و السرعة في العمليات، و حجم التخزين الصغير جداً. إذا فالتكنولوجيا الحالية أمرٌ مثيرٌ للإعجاب، و لكن عند دمج هذه التكنولوجيا معاً لإنتاج الكمبيوتر فقد فشلنا، لأنه في هذه التكنولوجيا الكثير من المشاكل من أعطال و ما إلى ذلك.

"جورج أورويل" لم يكن يدري بأنه سوف يكون هناك كمبيوتر، و لكنه علم كيفية طريقة تفكير الإنسان، و عرف أن الإنسان لديه الجشع و السياسة و حب السيطرة، و سأل نفسه ما هي أقصى درجات التحكم، فإكتشف أن أقصى درجات التحكم هو التحكم في العقل، فعندما تبدأ في التحكم في العقل، فعليك أن تتحكم في المجتمع، و عندها عليك أن تتحكم في المعلومات التي تصل إلى هذا المجتمع، لذلك نقوم بعمل الأخبار المركزية.

المقدم: "جورج أورويل" قال هذا الكلام من ستين عاماً، و تنبئ عن أيامنا هذه، و كان كلامه صحيحاً، و كلام "أبل" لم يكن صحيحاً، بل على العكس فكل يوم نحن نزداد عبودية للتكنولوجيا، فماذا برأيك سوف يحدث بعد ستين عاماً من اليوم؟

جونار نادر: هناك نقطتان، الأمر الأول هو التكنولوجيا المتميزة، و الأمر الثاني هو الإنسان، الشيء الثابت الذي لم يتغير منذ الأزل هو الإنسان، و الفكرة العامة هي أن الإنسان جشع و غبي، لماذا الإنسان غبي، لأنه يخلق جاهلاً و يقضي عمره متسانلاً عن الحياة. و لأننا نعلم هذا الأمر الثابت أنه بغض النظر عن ما سوف يتم إكتشافه، فإنه سوف يكون القاسم المشترك الأدنى، للقوة و السلطة و الجشع و التحكم و الغباء و ما شابه. فبغض النظر عن ما سوف يتم إكتشافه فإنه سوف يمر بهذه الدائرة، كما هو الحال في الصحراء الجافة، تمطر الدنيا قليلاً، فتنبت الأعشاب الرائحة قليلاً ثم تموت.

سألتني عن الذي سيحدث بعد ستين عاماً، يمكنني أن أخبرك عن التكنولوجيا التي تعتبر مذهلة و التي لا تصدق، و هكذا يجب أن تكون، لأنها أن كانت تصدق فكانني أصف لك الحاضر، و التكنولوجيا المذهلة من الصعب أن تصدق، لأنها تغيير الكثير من الحقائق التي نعرفها، في الماضي كان من المستحيل أن نصدق باننا سوف نصل إلى القمر، لأن الحقائق التي لديهم كانت تقول لهم ذلك، و كانوا على حق بناءً على ما كان لديهم.

في الماضي كانوا يقولون أنني مثلاً إذا إتصلت بك و لم تجب، فأنت قد مت، لأنهم تنبؤوا باننا في يوم من الأيام سوف يكون لدينا جميعاً هواتف نقالة، و كان أمر لا يصدق لأن البلدة بأكملها كان لديها هاتف واحد.

المقدم: لم تخبرنا بعد عن ما سيحدث يوماً ما.

جونار نادر: هناك أموراً سياسية، فهناك أمور يمكن القيام بها، و لكن قد يتم منعي من قبل السياسيين أو المجتمع بسبب أمور دينية أو سياسية أو دينية، فقد كان أهل الدين في الماضي يتشاجرون فيما بينهم و يقومون بحرق المكتبات. سيأتي وقت كل ما تلمسه لن يكون موجوداً، خصوصاً في وجود تكنولوجيا الأمراض. و كوننا نكبر في العمر، و نبدأ بالحاجة إلى ما يساعدنا مثل النظارات الطبية و ما إلى ذلك، فأنا أظن أن التكنولوجيا التي سوف تكون قوية هي التكنولوجيا الحيوية، أو الكيمائية، و الدقيقة.

و خصوصاً إذا نظر الناس إلى علامات تقدم السن على أنها أمراض، بحيث أنه يجب النظر إلى الأسباب التي سوف تكون وراء التطورات، فإذا قال الناس أننا سوف يكون لدينا نظارات طبية متطورة و فيها كاميرات، فهذا أمر مضحك، لأننا لن نحتاج إلى نظارات بسبب أن التكنولوجيا سوف تعالج مشاكل النظر دون الحاجة إلى نظارات.

المقدم: إذا تعتقد بأن الإنسان سوف يكون خالياً من المشاكل عن طريق التكنولوجيا؟

جونار نادر: على مستوى الجينات، يمكننا أن نرى المشاكل الخلقية، فمثلاً يمكننا أن نعالج مشكلة سقوط الشعر عن طريق جينات الأم و الأب قبل أن يولد الطفل.

و يجب النظر إلى العالم الجريء الجديد، فكما أن هناك علم يقوم بتصحيح الامور، فهناك العلم الذي يقوم بالتغير، مثل البلاستيك، فهو لم يكن موجوداً من قبل، و الأمر ليس كأنك قمت باختراع القلم مثلاً، لأنك لم تغير شيئاً، و لكن في حالة اختراع البلاستيك، فقد اخترعت أمراً لم يكن موجوداً من قبل على الأرض.

المقدم: إذا هل يمكننا القول أنه حسب رأيك أن التكنولوجيا سوف تحررنا فعلاً بعد سنتين عاماً؟

جونار نادر: الطفل الذي يولد اليوم، يحصل على الكمبيوتر و الهاتف النقال و يمكنه الذهاب إلى القمر، لديه من التكنولوجيا و المعلومات و المعرفة ما هو أكثر من أي جيل سابق، و لكن ليس لديه أية حكمة، و يقضي عمرة باحثاً عن الحكمة التي تجعله راضياً عن نفسه و التي نغميه من القيام بأمور مثل التي قام بها هتلر و أمثاله. إذاً هناك تكنولوجيا من شأنها أن تحسن من حياة هذا الطفل مثل توفير صحة و تعليم أفضل، و هناك تكنولوجيا من شأنها أن تغير من حياة هذا الطفل تماماً.

هناك الكثير من التغيرات التي تحدث لنا عند الكبر، فهناك الكثير من الموجات التي لا يمكننا سماعها عند سن معين، و هناك روائح لا يمكننا شمها، و أمور لا يمكننا رؤيتها بوضوح. لذا أتحدث عن التكنولوجيا التي تغير، فهل سوف نستطيع تغير التكوين الجسماني بشكل كامل، أو معنى الإنسان.

المقدم: في مرة أخبرتنا أنه قد يأتي يوماً يتغير فيه قانون الفيزياء، بشكل كبير لدرجة أننا قد نسافر عن طريق الفاكس.

جونار نادر: أنا ما زلت أؤمن بهذا، فمثلاً إذا كان لديك مطرقة و قطعة خشب، فيمكنك القيام بما تريد به عند طريقها، كرسى أو رف أو سكين أو سلاح. و لكن إذا طلبت منك صنع شيء دون أن يكون لديك الأدوات، فلن تستطيع.

إذا قال أحد ما قبل 200 عام، أنك سوف تكون في سيدني و أنا في نيويورك و سوف نستطيع التحدث كأننا في نفس الغرفة، فهل كان سوف يصدقه أحد؟

المقدم: و ليس فقط التحدث إلي، بل رؤيتي كذلك.

جونار نادر: إن هذا الأمر كان غريباً لدرجة أن الناس كان يقولون عنه جنوناً بسبب أنه لم تتوفر لديهم الأدوات، و أنت لا تستطيع أن تقتنع أنه في يوم من الأيام سوف تستطيع أن تسافر إلى بلد آخر خلال ثواني. كل إنسان يتحدث عن المستقبل، أو يعمل بنفس الطريقة التي أعمل بها، إلا و تم وصفهم بأنهم مجانين، و في الماضي تم حبسهم إذا ما قالوا شيئاً يتنافى مع الدين، أو يتعارض مع تعاليم الكنيسة. كانت تعاليم الكنيسة تقول أن الأرض مبسطة، و أنها مركز الأرض، و كانوا يقولون ما يريدون قوله. و كان أمثال "كابيرنيكوس" و "جالاليو" يقولون بأننا ندور حول الشمس و ليس العكس، فتم حبسهم و قتلهم. و لهذا قلت لك بأن التكنولوجيا لا يمكن أن تتقدم إذا منعها المجتمع. و في العادة يتم منعها، فإذا إردت أن تنتج بطاطا معدلة بحيث تحسن منها، فإنك بحاجة إلى الكثير من الموافقات القانونية، و سوف يكون هناك الكثير من المعارضة من قبل رجال الدين و السياسيين و غيرهم، بسبب وجود الخوف و حب السيطرة.

المقدم: و لكن الصوت الذي ينتقل عبر الهاتف ليس أمراً ملموساً، على عكس الإنسان، فكيف يمكن نقله.

جونار نادر: السؤال هو ما أنت؟ أنظر إلى أصبعك، ماذا ترى؟ إنها جزيئات مثل مكعبات التركيب، فإذا ذهبنا إلى القمر و إكتشفنا بأننا نسينا أن نحضر الطماطم، فهل نعود إلى الأرض لإحضارها؟ كلا، سوف يكون لدينا كatalوج فيه طريقة تركيب الطماطم، و لدينا كل المكونات اللازمة لصنع الطماطم. الآن كل من يؤمن بالله سوف يقول بأننا نتدخل في أمور الله، فكيف يمكنك أن تقوم بمثل هذه الأمر في ظل هذه الإنتقادات. لذا يجب أن يكون لدينا الوعي كي لا نحارب كل كلمة. لهذا إن كنت أعرف مكونات تكوين "غسان" فلماذا لا يمكنني صنع "غسان"؟ مالذي يعنني؟

المقدم: إذا سوف تكون في أكثر من مكان في نفس الوقت؟

جونار نادر: من الممكن ان يكون لدينا وزارة تضع سياسات، تتحكم في الأمر بحيث أن القانون يقول أنه لا يمكن أن يتواجد الإنسان في أكثر من مكان في نفس الوقت.

المقدم: (يضحك)

جونار نادر: هذا بالضبط ما أريده، أريدك أن تضحك، لأنك حين تضحك و لا تصدق، فأنت عنها قد وصلت إلى الحافة، و أنا من الممكن أن أسجن و أنت يوماً ما سوف تذهل بأن ما قلته قد يحدث، و لكننا لا نعيش طويلاً حتى يحدث ذلك، فنحن نموت و يسخر الناس منا، و بعد ألف عام يقولون ما أروع ما قالوه في الماضي.

المقدم: شكراً لوقتك جونار.

جونار نادر: شكراً لك غسان.

المقدم: الكاتب و المفكر و المحاضر الإجتماعي "جونار نادر"، و بهذا ينتهي البرنامج الشبابي "شباب و مستقبل"